الوحدة الخامسة:نقد الشعر عند ابن سينا.

يعد كتاب "فن الشعر" لأرسطو محطة هامة في تاريخ التنظير للأدب الغربي، حيث وضح من خلاله معالم النظرية الشعرية اليونانية فحقق انتشارا وشهرة واسعة، فانكب الباحثون على دراسته وتحليله وترجمته، وابن سينا واحد من الذين اهتموا بهذا الكتاب وأدخلوه المناخ الثقافي العربي، إذ حاول أن يعطي عنه صورة تعريفية ويوضح القضايا التي استوعبها ووجد لها شبيها في الشعر العربي، فكيف فهم ابن سينا الشعر؟ وما هي القضايا التي أثارها حوله؟

1-مفهوم الشعر عند ابن سينا:

ورد مفهوم الشعر عند ابن سينا على أنه" كلام مخيّل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة "[1].

أضاف ابن سينا خاصية للتعريفات العربية السابقة التي تركز على الوزن والقافية وتتمثل هذه الخاصية في التّخييل، وقد جعله في المرتبة الأولى ويليه الوزن، وهما قوام الشعر اليوناني الذي قدّمه أرسطو، أما القافية فتبقى خاصية الشعر العربي.

وقد أعطى ابن سينا المخيّل اهتماما بالغا وجعله أساس التأثير في المتلقي، ولم يشترط فيه أن يكون صادقا وإنما أن يحدث انفعالا لدى المتلقي.

ويشرح ابن سينا "المخيّل" بقوله: " والمخيّل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير رويّة وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق، فإن كونه مصدقا به غير كونه مخيّلا أو غير مخيّل، فإنه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه، فإن قيل مرة أخرى وعلى هيئة أخرى انفعلت النفس عن طاعة للتخييل لا للتصديق، فكثيرا ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقا[2].

2-المحاكاة والتخييل عند ابن سينا:

[1] فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد، تر و تح، عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953، ص161.

[2] المصدر السابق، ص ص161، 162.

وردت المحاكاة عند ابن سينا على أنها " إيراد مثل الشيء وليس هو هو"[1]، أي أن المحاكاة ليست نقلا حرفيا للواقع، وإنما هي إيراد لشبيه الشيء الموجود في الواقع.

وترادف المحاكاة عند ابن سينا المخيّلات أو التخييل "فقد يقرن فعل (يخيّل) بفعل (يحاكي) في قوله:" والشعر من جملة ما يخيّل ويحاكي" وقد تأتي "المحاكيات " مقترنة "بالتخييلات" في قوله "أما التخييلات والمحاكيات..."أو يقترن مصطلح المحاكاة بالتخييل"[2].

ويشير ابن سينا إلى أن المخيلات " مقدمات لا تقال ليُصدق بها، بل لتخيل شيئا على أنه شيء آخر على سبيل المحاكاة[3]" يتضح من هذا أن المحاكاة تبدو مرادفة للمخيلات، ولا يشترط فيها تحقيق التصديق.

ويشير ابن سينا أيضا إلى أن المحاكاة تدل على التشبيه والاستعارة أو على المجاز عموما، يقول: "المحاكيات ثلاثة أقسام تشبيه واستعارة وما يتركب منهما"[4].

وهذا يدل على أن المحاكاة تعني جانب من جوانب التشكيل في العمل الشعري المثمثل في التصوير، أو الصورة البلاغية وعليه تصبح المحاكاة مرادفة للتخييل بمعنى التصوير.

يلفت ابن سينا نظر القارئ إلى قضية مهمة تتمثل في أن التخييل أعم من المحاكاة ، لأن عملية الإبداع أو التأليف الشعري لا تنحصر فقط في المحاكاة وإنما تتطلب وسائل أخرى، والمحاكاة وسيلة من الوسائل التي تجعل القول مخيّلا، لكن عند ابن سينا لا يشترط أن تكون الأقاويل الشعرية أو الأقاويل المخّيلة كلها من المحاكيات، فعلى الرغم من أن أكثرها من المحاكيات، فإن منها ما لا يعتمد على المحاكاة.

فالتخييل عند ابن سينا أعم من المحاكاة لأن الأقاويل المخيّلة تعتمد على المحاكاة وغيرها من الوسائل التي تحقق التأثير النفسي لدى المتلقي، وهذا يقودنا إلى التساؤل عن وسائل المحاكاة الأخرى.

3-وسائل المحاكاة.

يدرك ابن سينا أن الفنون كلها تقوم على المحاكاة بما فيها الأدب والموسيقى والرقص والرسم، وكل فن تميّزه وسيلة محاكاة معيّنة، ووسيلة المحاكاة في الشعر لا تكون في اللغة فقط، وإنما تكون من قبل ثلاثة أشياء تتمثل في الكلام واللحن والوزن فيقول: " والشعر من جملة ما يُخيّل ويحاكي بأشياء ثلاثة ، باللحن الذي يتنغم به، فإن اللحن يؤثر في النفس تأثيرا

---

[1] الأخضر جمعي، نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد اللغة والأدب العربي، 1983، 1984، ص186.

[2] ألفت كمال عبد العزيز، نظريات الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص85.

[3] المرجع نفسه، ص85.

[4] المرجع نفسه، ص85.

لا يرتاب به، ولكل غرض لحن يليق به حسب جزالته أو لينه أو توسطه، وبذلك التأثير تصير النفس محاكية في نفسها لحزن أو غضب أو غير ذلك. والكلام نفسه إذا كان مخيّلا محاكيا، وبالوزن...وربما اجتمعت هذه كلها، وربما انفرد الوزن والكلام المخيل، فإن هذه الأشياء قد يفترق بعضها عن بعض" [1].

يقصد ابن سينا أن المحاكاة التي تكون في الشعر من قبل الوزن والكلام واللحن تتعلق بالشعر المغنى كما هو موجود عند اليونان، ولما تكون المحاكاة في الكلام المخيّل والوزن فقط دون اللحن فهو يشير بذلك إلى الخاصية الموجودة والمتحققة في الشعر العربي[2].

4-موضوع المحاكاة.

تتناول المحاكاة عند ابن سينا الأفعال الإنسانية المنسوبة إما إلى الأفاضل والممدوحين وإما إلى الأراذل والمهجوين، وعليه فموضوع المحاكاة يكون إما مدحا وإما ذمّا، وقد تتمحور المحاكاة حول وصف أحوال الناس وأفعالهم كما هي.

ولا يخرج المدح والهجاء عن دائرة الخير والشر، لأن المديح يعتمد على محاكاة الأفعال الإرادية الفاضلة، أو محاكاة ما هو خيري في حين أن الهجاء يقتصر على محاكاة الأفعال القبيحة أو محاماة كل ما هو شر[3] .

5-مصدر الشعرعند ابن سينا.

لم يرجع ابن سينا مصدر الشعر إلى الإلهام الغامض الذي يرخي فيه العنان للخيال، بل عدّ عملية الإبداع الشعري شكلا من أشكال الوعي والإدراك؛ لأنه يصدر عن المخيّلة القاصرة معرفيا إذا ما قورنت بالعقل الذي يعتبر أشرف القوى على الإطلاق، والقياس الشعري ينظر إليه على أنه أدنى الأقيسة؛ لأنه يعتمد على مقدمات مخيّلة بمعنى أنها غير صادقة وغير موثوق في صحّتها، وبالتالي لا تؤدي إلى نتائج يقينية، في حين يعتمد القياس البرهاني على مقدمات صحيحة موثوق في صحتها وفي صدقها، وبالتالي فهو يتوصل للمعرفة اليقينية الحقة، ومن ثمة ينشأ التعارض بين القياس الشعري الذي هو أدنى درجات القياس المنطقي والقياس البرهاني الذي هو أعلى درجات القياس[4].

---

[1] فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد، تر و تح، عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ص 168.

[2] ينظر، ألفت كمال عبد العزيز، نظريات الشعر عند الفلاسفة المسلمين ص79.

[3] ينظر المرجع نفسه ، ص95.

[4] ينظر المرجع نفسه ،ص71.

6-وظيفة الشعر.

يقول ابن سينا :"الشعر قد يقال للتّعجيب وحده، وقد يقال للأغراض المدنية"[1].

يرى ابن سينا أن الغرض الأساسي الذي يهدف إليه الشعر هو إحداث الدهشة والانفعال لدى المتلقي، والدهشة بدورها تؤدي إلى المتعة، لكن التركيز على المتعة لا يلغي الوظيفة النفعية الأخلاقية، يقول الأخضر جمعي:" فالشعر العربي يغلب عليه محاكاة الأفعال وفيه المطابقة أيضا، إذ يمكن أن يرتفع بالشعر العربي كما هو في طبعه إلى محاكاة الأفعال والأخلاق، ومن يحمّل وظيفة أخلاقية"[2].

ويقول أيضا:" واختزال ماهيته في "التخييل" لا يعني إفراغه من وظيفة الحث على الفعل ...والحق أن الفلاسفة لا يؤكدون على شيء تأكيدهم أن مهمة الشعر تتلخص في الحث على الفعل..."[3].

إن غاية الشعر عند ابن سينا حسب الأقوال السابقة تتمثل في تحقيق المتعة والإفادة، فالشعر ينظم لغرضين ليؤثّر في النفس، ويجعلها تنفعل فتحقق المتعة واللذة عند المتلقي.

والغرض الثاني يتجلى في "الحث على فعل والكف عن فعل"، وإذا كانت الأفعال الإنسانية التي تُحَاكى إما جميلة أو قبيحة، أي إما فضائل وإما رذائل، فمن البديهي أن يكون الحث مرتبطا بالفضائل، والكف أو الردع مرتبطا بالرذائل، أي أن الشعر يدفع المتلقي إلى الإقبال على الأفعال الجميلة والنفور من الأفعال القبيحة، وبهذا تتحقق الوظيفة الأخلاقية.

---

[1] فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد، تر و تح، عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ص 162.

[2] الأخضر جمعي، نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، ص148.

[3] المرجع نفسه، ص147.